النقد الأدبي العالمي للرواية الجزائرية
بين موضوعيّة المنهج وسلطة الإيديولوجيا

أ. غنية كبير
جامعة قسنطينة2

الملخص: عرف الأدب الجزائري المكتوب باللغتين العربيّة والفرنسية جمهورا واسعا في البلدان الفرنكوفونيّة وغيرها من البلدان، إذ اهتمّ به أساتذة وباحثون في كلّ من الاتحاد السوفياتي سابقا، الولايات المتحدة الأمريكيّة، كندا، أوروبا، والمغرب والمشرق العربيّ الكبير، إذ درسوا ذلك الأدب على أنّه منفصل عن الأدب الفرنسي، لأنّه يسلّط الضّوء على عالم مختلف ثقافيّا، إضافة لكونه خدم ثورة التحرير الوطنيّة الكبرى .

La littérature algérienne de langue française et de langue arabe est connue de larges publics dans des pays francophones ou non, de professeurs et chercheurs aussi bien dans les universités d'U.R.S.S que des U.S.A , du Canada, d'Europe et du Maghreb.

On s'y intéresse, entre autres motifs, parce qu'elle n'est pas la littérature française et qu'elle ouvre à un monde culturel original, "différent " , ou encore parce qu'elle a servi le combat pour l'indépendance nationale .

– مقدّمة :

تقدمت الرواية بسرعة بالرغم من وجود الشعر كمنافس لها، فهي النوع الأدبي الأكثر انتشارا والأكثر تحكيما للقضايا الثقافية والسياسية، وقد استخدمها الكاتب الجزائريّ للتعبير عن واقعه سواء كتب باللغة العربية أو باللغة الفرنسيّة، فالفرنسية بالنسبة للروائي أو الناقد ماهي إلا وسيلة.

وقد اعتبر بعض النقاد أنّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في جزء كبير منه، هوتلك الرقصة التي تحدث عنها الروائي المغربي "عبد الكبير الخطيبي"، رقصة رغبة قاتلة أمام مرآة مصنوعة من طرف الغرب، مرآة لا نتوقف عن تكسيرها وإعادة تركيبها حتى نصل إلى نهاية نطالب فيها بالاعتراف بنا.

– الرّواية العالميّة وكتابة الواقع في القرن العشرين :

لم تبرز الرواية العالمية هكذا صدفة ومن العدم عندما ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر في أوروبا، وإنّما كانت تستجيب لتقلّبات جذرية طرأت على المجتمع الغربي آنذاك، وأدّت به إلى وضع الثورة الصناعية، فكانت الرّوايات الأولى تعبيرا عن الواقع الجديد المعقّد والمتشعّب، لقد اخترقت تلك الروايات التاريخ وأصبحت تعبر عنه وصارت اللغة الروائية المحور الذي يتبلور داخله تاريخ الفرد وتاريخ أوروبا وتاريخ البشرية جمعاء، لأنّ الجنس الروائي بشكل عام، يحاول أن يقدّم امتلاكا جماليا ومعرفيا للرّاهن الذي تصدر الرّواية أثناءه زمنا ومكانا وللواقع العامّ الذي يحاول الرّوائي اكتناه جوهره وتقديم رؤيته عنه وله، فقد تستطيع رواية واحدة تقديم مثل هذا الإمتلاك المعرفي الجمالي، أو الوصول إليه كما في الحرب والسّلم لتولستوي، والإخوة كرامازوف لدوستويفسكي

وثلاثية نجيب محفوظ، فكلّ عمل من هذه الأعمال يقدّم وجهة نظره في راهن مجتمعه، وفي الواقع الإنساني العام[1].

وتتميّز الرواية الجديدة عن الرواية الكلاسيكية بكونها تثور على كلّ القواعد وترفض كلّ القيم والجماليات التي كانت سائدة، استجابة للعصر ولحركات التّحديث السّائدة في العالم والمتماشية مع القلق والتوتّر الذي يعاني منه الإنسان المعاصر، وهو ما حاولت فعله الرواية العربية أيضا، فهي تشترك مع مثيلتها الغربية في الرغبة في انتهاك الشّكل والتعبير بصورة جديدة عن العالم، أي بصورة مختلفة عن الطريقة التي عبّرت بها الرواية الواقعية عن الفرد والمجتمع والعالم.

فكان معظم الروائيين الجزائريين يسيرون على نهج غابرييل غارسيا ماركيز الذي اعتبر "الخيال مجرد أداة لإبراز الواقع، ويبقى مع ذلك منبع الخلق الوحيد هو الواقع، أمّا التوهم أو ما يقال عنه الابتكار الخالص على طريقة والت ديزناي بدون ربط مع الواقع فهو أبغض ما يمكن أن يكون" [2]، لأنّ تعقدات الحياة تفرض على الكاتب التعبير عن واقعه أكثر مما تتجه به نحو الخيال.

أوّلا – الرّواية الجزائرية في النقد العربي :

اهتمّ عديد النقّاد والباحثين العرب بالأدب الجزائري شعره ونثره، ولكنّ التّبادل الثّقافي لم يكن جيّدا في العقود السّابقة، وبالتّالي فإنّ النّصوص الأدبيّة لم تكن لتصلهم لولا علاقاتهم الشّخصية بالشّعراء والقصّاصين والرّوائيين، فأثّر ذلك سلبا على متابعتهم لحركة الإبداع في الجزائر، ولكنّ الحال في السّنوات

[1] – محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981، ص(15).

[2] – عبد الله حمادي : غابرييل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، دس .

الأخيرة اتّجه نحو الانفراج باحتكاك النقّاد والرّوائيين ببعضهم بتبادل الرّحلات العلمية ووجود ملتقيات دولية في كل البلاد العربيّة تجمع بين المبدعين والنقّاد والباحثين، وتخلق لهم جوّا ثقافيّا يجعلهم يطّلعون على آخر الإنتاجات الإبداعيّة لكلّ كاتب.

ولا نشكّ في أنّ الكتّاب والباحثين العرب يكنّون كلّ الحبّ والتّقدير والاحترام للمبدعين الجزائريين وخصوصا الرّوائيين منهم، لأنهم عاشوا ظروفا قاهرة منذ فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وصولا إلى السّبعينات وفشل الاشتراكية التي كانوا يبنون عليها آمالا كبيرة، ثم العشرية السوداء، وقد حاولوا من خلال إبداعاتهم التصدّي لتلك الظّروف التّي كانت تسعى إلى محو الإنسان الجزائري فنالوا تقدير الأشقّاء العرب الذين عانوا ويعانون نفس ما نعانيه فنحن أمّة مازال ينطبق علينا إلى اليوم قول أحمد شوقي "كلّنا في الهمّ شرق".

وفيما يلي سنقدّم بعض النّماذج للنّقد العربي للرّواية الجزائرية:

– الرّواية في الوطن العربي – نماذج مختارة – تأليف الدكتور علي الراعي منشورات الصقر العربي، بيروت، ط1، 1991.

يتكوّن الكتاب من 698 صفحة، تكلّم الناقد في مقدّمته عن إنجازات الرّواية العربية التي لا تقلّ شأنا عن الرّواية الغربية[1]، وقد قدّم دراسات حول الرّواية في مختلف البلدان العربية، مصر وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق ودول الخليج والسّودان والمغرب العربي الكبير (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) وبخصوص الرّواية الجزائرية فقد قدّم دراسات لعديد الرّوايات واهتمّ خاصّة بأعمال عبد الحميد بن هدوقة، والطّاهر وطار، ورشيد بوجدرة واعتبر

[1]. – علي الراعي: الرّواية في الوطن العربي . نماذج مختارة . منشورات الصقر العربي ، بيروت، ط1، 1991، ص(7) .

أعمالهم رفقة باقي العرب أهم ركائز الإبداع العربي وأكثرها إحساسا بهمومه ومشاكله، وأجدرها أن تتحصّل على قاعدة جماهيرية عريضة.

قدّم علي الرّاعي دراسة حول رواية "الجازية والدّراويش" عرض لحوادثها وشخصيّاتها، والحوارات والزمان والمكان فيها ضمن منهج الواقعية الجديدة التي تتعلّق وقائعها مع الأحلام والرؤى والأساطير مثلما تتداخل السياسة مع واقع الناس وأحلامهم وتطلّعاتهم.

وأشاد برواية "الجازية والدّراويش" واعتبرها نصرا آخرا للواقعيّة العربية الجديدة، ودعما للنّهوض العربي في الرّواية العربيّة الجزائرية، وهو بالطّبع ليس أوّل ناقد عربي أشاد بهذه الرّواية، فقد سبقه إلى ذلك كثيرين ممّن انبهروا بالتّوظيف النّاجح لشخصيّة الجازية الهلالية وقصّة الهلاليين التراثية، وقد اندرج نقد الرّاعي في الاتجّاه الوصفي التّحليلي .

– الرّواية العربيّة الجزائريّة ورؤية الواقع – دراسة تحليليّة فنية – تأليف عبد الفتّاح عثمان، القاهرة، ط1، 1993.

أكّد الناقد أنّ الرّواية الجزائرية قد أدّت دورها وعبرت بواقعية عن معاناة الإنسان الجزائري وكفاحه ضد الاستدمار الفرنسي، كما كشفت سلبيات التّطبيق الاشتراكي التي أدّت بالاشتراكيّة إلى الفشل ثم الزّوال، وصوّرت بدقّة الصّراع القائم بين الاقطاعيين والملاك الذين يمثلون الرجعية والمناضلين الشّرفاء الذين يمثّلون التقدّمية، وقد أقرّ النّاقد بأنّ أكثر الأنواع الأدبيّة ارتباطا بالواقع وتعبيرا عنه هي الرّواية، لأنها كشفت العلاقة الوطيدة بين التّاريخ والسياسة من جهة وبين الرّواية كنوع أدبي وجد في مرحلة متأزّمة من تاريخ الجزائر، وكان عليه مسايرة تغيّرات المجتمع لأن الرواية هي أقدر الأنواع الأدبية على تصوير الواقع المتأزّم، ودرس رواية اللاز للطّاهر وطار، ونار ونور للدّكتور مرتاض، وطيور في الظّهيرة لمرزاق بقطاش، وأظهر من خلال هذه الرّوايات واقع الكفاح

الثوري المسلح، كما درس "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة و"العشق والموت في الزمن الحراشي" و"الزلزال" للطاهر وطار، و"الألواح تحترق" لمحمد زتيلي التي تعبّر عن واقع الثورة الزراعية[1].

وقدّم الناقد دراسات حول "الشمس تشرق على الجميع" لإسماعيل غموقات و"الخنازير" لعبد الملك مرتاض، و"مالا تذروه الرياح" لعبد العالي عرعار، كما تحدّث عن موضوع رواية "نار ونور"، وهي رواية تقترب من الإنشاء اللغوي في رصدها النّضال الطّويل للشّعب الجزائري داخل إطار عاطفي ينمو نموّ الأحداث ويرتبط بحركة الصّراع الدّرامي ممّا جعلها تتّخذ طابعا عاطفيّا إنسانيّا، ومن ناحية الاتّجاه الإيديولوجي تعاطف مرتاض مع الطّبقة الشّعبية الكادحة، صاحبة المصلحة العليا في الثورة دون انتماء حزبي للكوادر الشّيوعية وانتماؤه الحقيقي هو للطّبقة الواعية المثقّفة المرتبطة بأرضها وتراثها وحضارتها العربية الإسلاميّة. ولم يهمل الناقد الجوانب الفنية في الرّواية فرأى أن بناءها الكلاسيكي ولغتها مستمدّة من التّراث ومثقلة بالاستطرادات التي أثقلت كاهل البناء الرّوائي فأصابه الترهّل[2].

اعتبر الناقد "ريح الجنوب" لابن هدوقة أوّل رواية جزائرية رصدت بواقعية الحياة في الريف الجزائري، وجسّدت هموم الفلاّح ومشكلاته مع الأرض، كما تناولت الصّراع القائم بين الملاك الإقطاعيين الرّجعيين والمناضلين التقدّميين، وبذلك فهي أوّل رواية قدّمت واقع المجتمع الجزائري وخصوصا نمط التّفكير السّائد في الأرياف الجزائرية، حيث نقل لنا الرّوائي

[1]– ينظر : عبد الفتاح عثمان : الرواية العربية الجزائرية و رؤية الواقع ، (ص) (82) .

[2] المرجع نفسه، (ص ، ص) (82 ، 84) .

ببراعة القرية الجزائرية بتضاريسها وهمومها وصراعها وطموحها، ووصف الفلاح الجزائري بمعاناته وتخلفه وصموده وأمله في حياة أفضل.

أشاد عبد الفتّاح عثمان بأسلوب بن هدوقة الذي وصفه بالرّصين من حيث اهتمامه بالصياغة الفنية واستخدامه الرّمز في تصوير بعض المشاهد، كما وظّف التّراث السّردي ورسّخ المذهب الفني القائم على الشّكل والمحتوى المندغم بالواقعيّة الجديدة[1].

-الرّواية السّياسية، تأليف الدّكتور طه وادي، دار النّشر للجامعات المصرية، مصر، ط1، 1996.

يقع الكتاب في 240 صفحة، تحدّث فيه الناقد عن الرّواية السياسية من خلال نماذج للرواية العربية، وأفرد الفصل السّابع للحديث عن الرّواية الجزائرية وكان بعنوان "جماليات النّموذج، تعارضات الرّؤية في الرّواية السياسية".

في بداية حديثه ذكّر النّاقد بأمجاد بلد المليون ونصف المليون شهيد، الجزائر التي حقّقت بالدّم والنار استقلالها، وأكّدت بالكفاح والتّضحية وجودها، بعد ذلك انتقل إلى الحديث عن الرّواية الجزائرية المعاصرة التي لا تصل النقّاد في مصر إلا عن طريق بعض العلاقات الشّخصية، وهنا أشار إلى مقولة الرّوائي الرّوسي العظيم دوستوفيسكي(الإخوة الأعداء).

تطرق الناقد إلى تطوّر الرّواية في الجزائر وتحدّث عن ظهور مجموعة كبيرة من أعلام ذلك الفنّ حصرها في الأسماء التّالية: أحمد رضا حوحو، أحلام مستغانمي، عبد المجيد الشّافعي، رشيد بوجدرة، عبد الحميد بن هدّوقة، الطّاهر وطّار، محمّد ديب، كاتب ياسين، مالك حدّاد، مولود فرعون، عبد

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الملك مرتاض، محمد مصايف، اسماعيل غموقات، مرزاق بقطاش، أحمد بودشيشة، أحمد منوّر، زهور ونّيسي، سعدي ابراهيم، آسيا جبار، علّاوة وهبي، واسيني الأعرج، محمّد مفلاح، محمد المنيع، محمد عرعار، أبوالعيد دودو، جيلالي خلاص، الشّريف شناتلية، بوشفيرات عبد العزيز.

تساءل النّاقد عن سبب وفرة هذا النّوع الأدبي في الجزائر دون غيره من الأنواع الأدبيّة، ورأى أنّ الفترة الممتدّة بين سنة 1954 إلى سنة 1962، لم تكن فترة تحوّل في التّاريخ النّضالي فقط، إنّما أيضا كانت أخصب فترة في المجال الأدبي، أمّا بعد الاستقلال فقد كانت الرّواية تسجّل قصص الكفاح والبطولات.

وأرجع النّاقد سبب ظهور الرّواية الحديثة على أيدي طلائع الطّبقة الوسطى إلى أنهّم كانوا هم صانعي النّصر للجزائر "الطّبقة الوسطى إذن وهي تكتشف نفسها وتثبت وجودها، تكتشف فنّ الرواية وتتّخذ منه وسيلة للتّعبير عن همومها ومهامها وعن آلامها وآمالها وعن واقعها وأحلامها"[1].

يرى النّاقد أن معظم مشكلات الجزائر الحقيقيّة قد ظهرت بعد الاستقلال، ذلك أنّ الكفاح ضدّ المستدمر يجمع كل فصائل المجتمع ويوحّد بين كافة الإيديولوجيّات فيها، أمّا بعد الاستقلال فإنّ كل الشرائح تريد أن تأخذ قسطا من مكاسب النصر، وكل اتجاه يريد أن يفرض أيديولوجيته وأن يبسط فلسفته وبالتالي فإن واقعا معقدا كهذا تكون فيه الرواية هي النوع الأدبي الأكثر قدرة على التعبير عن مشاكله المتأزمة، وهذا ما يجده طه الوادي في عدة روايات اطّلع عليها: ريح الجنوب، وبان الصبح لعبد الحميد بن هدوقة،

[1]–طه وادي: الرّواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، مصر، ط1، 1996، ص(83) .

المرفوضون لسعدي يوسف و(الرعن، الحلزون العنيد، التفكّك، المرث، ليليات امرأة آرق) لرشيد بوجدرة، المؤامرة لمحمد مصايف، الخنازير لعبد الملك مرتاض، طيور في الظهيرة لمرزاق بقطاش، (اللاز، العشق والموت في الزمن الحراشي، الزلزال) للطاهر وطار، هموم الزمن الفلاقي لمحمد مفلاح، وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر لواسيني الأعرج، وفي الحقيقة فإن هذه الأعمال جزء يسير من مجموع الروايات الجزائرية التي تطرقت إلى واقع ما بعد الاستقلال ، وبما أن الظّروف فرضت أن تكون الرواية أكثر الأنواع الأدبية ملاءمة للتعبير عن أزمات المجتمع فالناقد "يؤكد أن هذه الظروف نفسها أوجبت أن يكون الموضوع الغالب عليها والمتحكّم في محاور مضمونها، هو موضوع القضايا السياسية[1] ، سواء القضايا المرتبطة بتصوير ما حدث في مرحلة الثورة التحريرية الكبرى ضد الاستدمار الفرنسي أو كانت متّصلة بمشكلات ما بعد الاستقلال، وقد أكّد قوله بإعطاء أمثلة أوّلها أنّ رواية مبكّرة نسبيا هي ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة التي صدرت طبعتها الأولى عام 1970، نجدها رغم قربها من الاتجاه الرومانسي فإنّها تعدّ رواية سياسية تصوّر ما حدث بعد حرب التحرير.

قدّم الكاتب عديد الشّخصيات من روايات جزائرية مختلفة وشرح القضايا التي تطرحها والأيديولوجيات التي تتبنّاها على اعتبار أنّ "الإنسان المتكلّم في الرّواية هو دائما صاحب أيديولوجيا بقدر أو بآخر، وكلمته هي دائما قول أيديولوجي"[2].

[1]– المرجع نفسه ، ص (185) .

[2]– ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية ، ص(110) .

اعتمد النّاقد في بحثه على كتاب للنّاقد الجزائري واسيني الأعرج يحمل عنوان "الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الجزائري" الصّادر عام 1986 عن دار الكتاب الحديث (بيروت) وكان أيضا قد اتّخذ من المنهج التحليلي الوصفي وسيلة لعرض عديد الروايات التي اعتبرها سياسية بالدّرجة الأولى.

-العرب والغرب في الرّواية العربيّة، تأليف الدكتور حسن عليان، منشورات مجدولاي للنشر، عمان، ط1، 2004.

يتكوّن الكتاب من310 صفحة، تحدّث الناقد في مقدّمته على العلاقة بالغرب، إذ رأى بأنّها قديمة حديثة اتخذت أشكالا ووجوها متعدّدة في إطار من التفاعل والصّراع، هذا التّفاعل هو ما شكّل رؤية بعض كتّاب الرّواية في الوطن العربي منذ النصف الأول من القرن العشرين وحتى يومنا هذا.

تطرّق الكاتب إلى التحوّلات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي شهدها الوطن العربي في القرن العشرين، وقال بأنّ هذه الهزائم قد أحدثت خلخلة في بنى الفكر العربي وثقافته وبناه السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، ولم يعد الفرد يثق بمشكلات واقع الأمة ومعطياته ومقولاته[1]، وتناول في دراسته علاقة العرب بالغرب في الرّواية العربية بأوجهها المتعدّدة والمتباينة على مختلف الأصعدة .

عالج عليان الانبهار بالغرب والأنا المفارقة وخسارة الذّات، وعقدة التّفوق الكاذب عند العرب وصراع القيم والمفاهيم والثّنائيات المفارقة وصراع الحضارات، وحلّل عديد الرّوايات أنموذجا للعلاقات بين العرب والغرب.

[1]– حسن عليان : العرب والغرب في الرّواية العربية، منشورات مجدولاي للنشر، عمان، ط1 ، 2004 ، ص(15) .

فيما يتعلّق بإشكاليّة العلاقة بالغرب: الأنا المفارقة وخسارة الذّات، وضّح لنا إشكالية الدّونية والاندهاش من خلال تطبيقه على رواية "مالا تذروه الرياح" لعبد العالي عرعار، فرأى أن إشكالية الدونية لم تكن لتظهر لولا التّماس الحقيقي والمباشر بين الإنسان العربي والغربي، وهذا التماس لم يكن طبيعيا يسير في المجرى الصّحيح، بل كان قسريا وأداته الاحتلال الفرنسي للجزائر، هذا الاستدمار كان يعدّ الجزائر أرضا فرنسية ولذا فإن انبهار (البشير) بطل رواية (مالا تذروه الرياح) كان انبهار قوّة وغلبة وقهر وعبودية في إطار علاقة الغالب بالمغلوب، إنها رؤية العربي المفرنس التي يرصدها الرّوائي ويوضّح موقفه من الصّراع بين الثّوار والاحتلال الفرنسي، فهو صراع غير متكافئ لذا فإنّ المجاهدين من وجهة نظر البشير أغبياء يبحثون عن الانتحار، وقد أبرز لنا عليان موقف البطل من خلال حديثه مع زوجته الذي يبيّن إيمانها وشجاعتها وفي المقابل استسلام البشير لما يراه أمرا واقعا[1]، كما تطرّق الباحث إلى رواية "اللاز" للطاهر وطّار إذ رأى أنّ الأمر لم يقتصر عند الجزائريين على الخوف فحسب، إنما تعدّاه إلى التّشاؤم والتطيّر فحمّو في اللّاز يقول أنّ أخاه زيدان أخبره مرّة : "أجدادنا يتطيّرون من الأشقر والأشهب والأبيض الناصع، ويقطعون طريقهم إلى السّوق أو غيرها إذا ما اعترضهم شخص أو حيوان من هذا النوع، وإلى الآن لا تحمل العروس إلا على بغلة سوداء"،ويرى الكاتب أن درجة الانبهار بفرنسا وصلت إلى حدّ انضمام البشير إلى سلك الجيش الفرنسي ليكتشف سرّ عظمة فرنسا، وكان يظن أنه سيكون أفضل بانضمامه للجيش الفرنسي وسيوازي الآخر الغربي وقد أثار لنفسه أسئلة كثيرة كيف أنه يحمل الجنسية الفرنسية ويرتدي البذلة الفرنسية ولا يعامل كأيّ جندي

[1]– المرجع نفسه، ص(32) .

فرنسي، كما فكّر في الذهاب إلى فرنسا لرؤية البلد الذي كوّن هؤلاء الجبابرة، كل هذا سخّره الناقد ليصوّر انبهار المواطن الجزائري البسيط بالفرنسي المحتلّ، كما استعان الناقد برواية "تجربة في العشق" للطّاهر وطار ليبرز تعلّق السلطة الجزائرية بفرنسا بعد الاستقلال والمحافظة على العلاقات معها، ثم وظّف ما يخدمه من رواية "الشمعة والدهاليز" إذ ينقل كلام ابن الضابط عن أولاد الأغنياء "أولاد الأغنياء، أولاد موظفين من مختلف الرّتب والدرجات في الإدارة الفرنسية، لا شيء فيهم جزائري عدا شعورهم بالتضايق من ارتباطهم العرقي بنا، وعدا جلد الذات المستمر بالانتقاد اللاذع: " لا تعرفون كيف تلبسون، ولا كيف تأكلون، لا تسوقون الطائرة ، ولا تستطيعون صنع إبرة، بقر الله في زرع الله" بعد ذلك وظّف عليان رواية "نوار اللوز" لواسيني الأعرج من خلال بابا صالح أحد مجاهدي الجزائر عبر الحوار، وقد حرم من المساعدة بعد أن أخرج اسمه من قوائم المستفيدين من توزيع الأراضي من قبل عملاء فرنسا السابقين:

– بابا صالح مالك ساهي في الحيط، هذه صورة نابليون منقوشة على الجدار من زمن فرنسا لا البلدية نزعتها، و لا نحن انتبهنا لها.

– إيه زمن راح وزمن جاي، وكلها دنيا واحدة.

– لو عرفت قساوة الزمن الأوّل كنت غيرت رأيك حتما في الصورة.

– يا سيدي، ماذا تغير؟ بيار راح و موح جاء"[1].

وفي مقابل هذا النّمط المستلب من المنبهرين بالحضارة الفرنسية، نجد نوع آخر يرفض هذه الرؤية ويسخر من الحضارة الفرنسيّة التي لا ترى إلا نفسها، وهذا ما نجده في رواية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة من خلال القول

[1]– واسيني الأعرج : نوار اللوز أو تغريبة صالح بن عامر الزوفري ، دار الحداثة ، بيروت ، 1982 ، ص(49) .

الذي وظفه الناقد ليخدم فكرته يسأل الدركي الفرنسي قدور عن وجه زوجته التي ترتدي زيها الوطني: "تلك المرأة زوجتك؟ أين يوجد وجهها"، بالرغم من هذا الموقف فقدور يبدي اعتزازا بمظهر الحشمة الذي تبدو به زوجته، عكس النساء الفرنسيات اللائي يكشفن أجسادهن لكل عابر سبيل وضح الباحث أن صراع العرب والغرب شكّل أحد الهواجس الأساسية التي عبرت عنها الرواية الجزائرية منذ بداياتها الأولى وقد ظلّ هذا الهاجس عنصر جذب للروائيين لما يشتمل عليه من تركيب و تعقيد وتناقض، مما تحتاج إليه الرواية كشرط سابق لوجودها و بنائها"[1]ولاحظ أن أكثر صورة تبدّى فيها هذا الهاجس يأخذ صورة الرحلة إلى الغرب مثلما فعل البشير في رواية "مالا تذروه الرياح" لعبد العالي عرعار.

جاء في خاتمة البحث تأكيد على أنّ هذه العلاقة المتوترة بين العرب والغرب ستظلّ باعثا على الكتابة الروائية، لأن الصّراع مازال قائما ويأخذ أشكالا مختلفة من عصر إلى عصر، وقد رسمت النصوص الروائية التي عالجتها البحوث مستويات متعددة من اللقاء والصدام من خلال شخصيات عربية ارتحلت إلى الغرب وتصادمت مع حضارته، وقد عرض البحث في فصوله أبعاد هذه العلاقة ووجوهها في العناوين التالية: الانبهار بالغرب، الأنا المفارقة، خسارة الذات، الأنا المتضخمة، عقدة التفوق الكاذب، المرأة الغربية "زوايا وأبعاد وإشكالية القيم بين المرأة العربية والغربية"، المرأة الغربية والقضايا القومية، صراع القيم والمفاهيم، الثنائيات المقارنة، صراع الحضارات وقوامه الصّدام الحضاري الصّدام السياسي والاقتصادي والصدام العسكري، وهذه العناوين مرشحة في المستقبل أن تتغيّر وتتحوّل ويبقى البعض على حاله في

[1]. حسن عليان : العرب و الغرب في الرواية العربية ، ص (183) .

الدّراسات اللّاحقة لأنّ أشكال الصّراع تتغيّر وبالتالي فالرواية تتغيّر طروحاتها فيتغيّر البحث الذي يمسّ هذه الرّوايات.

– جماليّات وشواغل روائية، تأليف الدّكتور نبيل سليمان، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 2004 .

اهتمّ الناقد بالحداثة الرّوائية في الجزائر فأكّد أنّها ابتدأت مقلّدة التراث الأدبي العربي، والرّواية الغربية وكان ذلك التّقليد تجريبا لشكل جديد من الكتابة بمستويات مختلفة، وبصدد حديثه عن التّجريب ذكر عديد الروائيين العرب الذين استفاد منهم الروائي الجزائري كوليد إخلاصي وصنع الله إبراهيم وإدوارد الخراط وإميل حبيبي، أمّا في الجزائر فقد أرجعت بدايته إلى عبد الحميد بن هدّوقة والطّاهر وطار، وقد درس روايات عديدة لهما ولرشيد بوجدرة وجيلالي خلاص وواسيني الأعرج وأحلام مستغانمي.

أشاد نبيل سليمان بالحداثة الرّوائية عند ابن هدوقة وبتوظيفه المتميّز لعناصر المخيال العربي والإسلامي (الأسطورة والقصص الشعبي)، وأكّد أنّ ابن هدوقة قد نجح في تهديم خطّية البناء الرّوائي التّقليدي، وقد أرجع سبب التّجريب الرّوائي إلى ما عصف بالجزائر منذ الثورة التي جاءت بالاستقلال إلى الثّورة الزراعية والتسيير الاشتراكي في سبعينات القرن الماضي إلى هبات 1988 وما نتج عنا من بحر الدم والعشرية السّوداء، وبالتالي كان على الكاتب أن يبحث عن وسيلة لتطوير كتابته.

ثانيا– الرّواية الجزائريّة في عيون النّقد الغربي من خلال مجلّة Œuvres et critique

Œuvres et critiqueهي مجلة تصدر كل ستة أشهر عن منشورات Jean michel تحت إدارة Wolfgang Leiner، هذه المجلة متخصصة في

دراسة الأعمال الأدبية وتبحث في النقد الأدبي أيضا، تناولت في أعدادها العديد من قضايا الأدب والنقد العالمي.

ونظرا لأهمية الإبداع الروائي المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، خصّصت ذات المجلّة عددا كاملا لتناول هذا الأدب، من عدّة زوايا وبتطبيق مناهج النّقد الحداثية على عدّة روايات مغاربية، إذ تضمنت المجلة أربعة عشر دراسة، واحدة تخص رواية إدريس شرايبي من المغرب الأقصى، وأخرى تخص الروائي التونسي هيدي بواروي، والبقية كلّها ركزت على الإبداع الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، هذه الدّراسات أنجزها نقاد من مختلف الجنسيات.

1- الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في النقد السوفياتي:

في دراسة بعنوان :Critiquesoviétiquesur les littératures francophones du Maghreb / par Galina Djougachvili.

ترى النّاقدة بأنّ أدب دول المغرب العربي المكتوب باللغة الفرنسية صار يجذب إليه القرّاء منذ مدّة، كما لفت انتباه النّقد الأدبي السّوفياتي الذي جعله موضوعا لدراسات عديدة، إذ يشتغل عليه نقادمنهم: Victor Balachov – Irina Nikiforova– SvetlaneProjoguina – galinaDjougachvili.

تقول الناقدة:" إنّ VitorBalachovمعروف في تاريخ النقد الأدبي السّوفياتي، إذ كان أوّل من اكتشف الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ومن بين أهمّ الموضوعات التي خصّصها لإبداعات الكتّاب الجزائريين، مقاله " الأدب الجزائري " الذي نشر في " الموسوعة الأدبيّة المختصرة " La bréve encyclopédielittéraire.

وقد لفت انتباه النقد السوفياتي لأوّل مرّة بأدب جزائري وطنيّ ناشئ، ولعدّة سنوات كان يقدّم دروسا عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لطلبة كليّة الآداب جامعة M.V.Lomossovبموسكو.[1]

المقدّمة التي كتبها VitorBalachovلترجمة رواية مولود فرعون الصادرة عام 1963م، كانت بمثابة تعريف بأدب هذا الرّوائي، وتحليل لأهمّ أعماله، وخصوصيّة كل عمل.

إذ يؤكد بأنّ رواية ابن الفقير تعطي فكرة دقيقة حول طبيعة وقدرة الإبداع عند مولود فرعون، إذ أعاد هذا الأخير إنتاج الحياة اليومية في لوحات تراجيدية للحياة الإنسانيّة، والتي تتغيّر حسب مجريات التاريخ، فسحر واقعيّة مولود فرعون يعتمد على عظمة الحياة المادية والروحية، إنها تنقل بطريقة جيدة الشعر المتداول في بيئته والأمثال الشعبية، كما تعكس ذوقه القبائلي الخالص وإنسانيته العالية [2] والملاحظ على نقد VitorBalachovأنه ركّز على توظيف مولود فرعون للأمثال الشعبية الجزائرية والحكايات الشعبية التي تنتشر في البيئة القبائلية، وكأن دراسة الناقد لم يكن هدفها التعريف بأدب كاتب مغمور بل التعريف بالثقافة الشعبية الجزائريّة .

ولعلّ الناقدة ركّزت في مداخلتها على رواية " نجل الفقير " لمولود فرعون ، لأن اهتمامها انصبّ على نقد VitorBalachov الذي ركّز بدوره على دراسة أعمال مولود فرعون دون غيره .

---

[1] – Galina Djougachvili, Critique soviétique sur les litératures francophones du Maghreb,Œuvres et critique,édition Jean – Michel,Paris,1979,p21.

[2]– المرجع نفسه ، ص(22) .

– في دراسة بعنوان:

Les recherches sur les littératures maghrébines d'expression française en URSS : conception, résultats, perspectives, par Irina Nikiforova .

ذكرت الناقدة بأنّ galinaDjougachvili قد ألّفت كتابا عنوانه " الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة Leroman algérien d'expression française

عام 1976، ركّزت فيه على جماليات السّرد عند الرّوائيين الجزائريين، وبالضبط أثناء تعبيرهم عن الانتماء الوطني في أعمالهم، وأشارت galina إلى أنّ عديد الآفاق قد فتحت في مجال دراسة الآداب الجزائرية، بفضل سلسلة واسعة من الدّراسات المخصّصة للآداب المعاصرة في البلدان الإفريقيّة، وهذا بعد اجتماع باحثين، وطلبة من مختلف جهات القارة الأوروبية بمعهد غوركي A.M.Gorki للآداب، فقد كان فرع الدّراسات اللغوية لهذا المعهد يضمّ إحدى عشر باحثا، منهم أربعة يهتمّون بآداب المغرب العربيّ، وهم :

Alexandre Koudéline, ZoufliNamitokofa, galina Djougachvili, Irina Nikiforova.[1]

وإن كان الاستشراق ودراسة الثقافة الشرقيّة قد كشف خلفياته إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، إذ أبرز تكوينه المؤسّسي وارتباطه بالمصالح السياسيّة الغربيّة خصوصا وأنّ ازدهار الاستشراق جاء مواكبا للتوسّع الاستعماري والامبريالي الغربي، فهو معرفة تنتج القوّة، لكنّ الملاحظ على النقد

[1] – Irina Nikiforova, Les recherches sur les littératures maghrébines d'expression française en URSS : conception, résultats, perspectives, Œuvres et critique,édition Jean Michel,Paris,1979,p25-26

السوفياتي للرواية الجزائرية أنه حاول تقديم صورة على أدب ناشئ في بلد مستعمر، مبرزا جمالياته، ومن خلال ذلك الأدب حاول تقديم صورة عن الثّقافة الشّعبية الجزائرية بعاداتها وتقاليدها المختلفة، مركّزا على الظلم الذي يتعرض إليه الإنسان الجزائري من طرف المعسكر الغربي ممثلا بفرنسا، فالنقد السوفياتي لا يخلو من الإيديولوجيا لكنه بعيدا عن الأهداف الامبريالية.

2- الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في النقد الفرنسي :

- في مقال بعنوان:

Sur Nedjma de Kateb Yacine par Jacqueline Arnaud

استهلّت الناقدة مقالها بحادثة روتها عن كاتب ياسين، تقول :"بعد انتهاء الحرب والمنفى، التقى كاتب ياسين في مدينة عنابة بحلاق شبه أميّ، سأله الحلاق: لماذا كتبت نجمة، أنا كنت سأكتبها ؟"

لم يهتم كاتب ياسين بكلام الحلاق، لأنّه لا يفضّل هذا النوع من المتلقّين، فهم لا يجيدون اللغة الفرنسية، ولا يقرؤون عادة إلا أوراقا من روايته أو يكتفون بالعنوان فقط .

تقول الناقدة:" إن كاتب ياسين يهتمّ بآراء المثقّفين والنقاد المرموقين لأنهم يفهمون نصوصه ويحلّلونها بشكل إيجابيّ ".

هذه الحكاية تعدّ بمثابة تقرير عن الإشكاليّة التي يعاني منها الكاتب الذي يكتب باللغة الفرنسيّة، خصوصا في الفترة ما بين 1950-1956 حتى سنة 1960، إذ أنه يخاطب جمهورا لا يفهمه – هذا من جهة – ومن جهة أخرى ، فإن كاتب ياسين قد عاني كثيرا بعد صدور روايته "نجمة" بسبب النقد الفرنسي الذي اتخذ منه موقفا عند صدروها، لأنّ محتوى الرواية يمثّل عالما غريبا عنه، فهو يصوّر الثّورة التحريرية الكبرى، والعادات الجزائرية، وبالرغم من إجادة الكاتب للغة الفرنسيّة، لكنّه من الصعب على النّاقد الفرنسيّ أن يعطي

شبه استحسان للرّواية مباشرة بعد اندلاع الثّورة، فبعد الأوّل من نوفمبر 1945 كلّ نقد – أراد ذلك أم لم يرد – فهو يتموقع في صراع إيديولوجي بين الجزائر وفرنسا .

في المقابل هناك نقد اعترف بميلاد كاتب اسمه " كاتب ياسين" بعد إصداره لروايته " نجمة ".

من هؤلاء الناقد أندري روسو André Rousseaux إذ كتب في مجلّة Figaro littéraire بأنّه بعد صدور رواية " نجمة "، نقرّ بميلاد كاتب جديد .[1]

– من النقّاد الذين كتبوا عن رواية " نجمة " لكاتب ياسين :

– إيميل أوريو Emile Henriot : إذ كتب في مجلّة Le monde بأنّ "نجمة" ترمز إلى الرّوح الوطنيّة العربيّة التي هي بصدد التشكّل والتكوّن ضدّنا (يقصد ضد الامبريالية)، وتساءل "هل يمكن تصنيفها في خانة رواية الرّمز؟"[2] فالناقد Emile Henriot لا يقدّم في دراسته لرواية نجمة نقدا منهجيا فقط بل يمرّر نظرته الكولونيالية التي لا تستحسن الإيحاءات التي جاءت في رواية لكاتب من بلد " تابع أو مستعمرة ".

– موريس نادو Maurice Nadeau: ترى الناقدة بأنّ موريس نادو ينظر إلى مسألة الحداثة الأدبية بحساسية كبيرة، فيقرّ بأنّ حداثة الأدب عند كاتب ياسين ناتجة عن تظافر حداثتين: حداثة السّرد وحداثة الأفكار، فمنذ البداية تمرّد هذا الكاتب الشّاب على قواعد الرّواية الكلاسيكيّة، لكنّ موريس يذكر بأنّ كاتب ياسين ينبذ اللغة العربيّة ويصفها بأنّها لغة ميّتة .

[1] – Jacqueline Arnaud, Sur Nedjma de Kateb Yacine, Œuvres et critiques,p37.

[2] – Ibid, p38

وتنتقد Jacqueline Arnaudهذا الموقف بشدّة، وتقول " كان على موريس نادو أن يضيف بأنّ كاتب ياسين لا يعرف اللغة العربية الأدبية (الفصحى)، وأنّه يستحق الاحترام للجهد الذهني الذي يبذله، فهو يفكّر بالعربية الدّارجة ويكتب بالفرنسية الفصحى، وهو يميل في إبداعه اللغوي إلى كافكا Kafka وفولكنير Faulkner وجويس Joyce .[1]

كما تقول الناقدة بأنّ نادو حين تكلّم عن البطلة نجمة كان يتكلّم وكأنّها الجزائر، البلد الحرّ.

– جينيفيا فصارو Geneviève Serreau : تساءل في مجلة Les lettresnouvellesحول البنية السّردية لرواية نجمة، خاصّة طريقة انتقاء الشخصيات، وذلك الأسلوب الذي يجمع بين الواقعيّة والرّمزية، ويرى بأنّه من الصّعب التعبير عن مأساة الجزائر في الكفاح بهذه الطريقة الرائعة التي تمثّل ميثولوجيا عاطفيّة .

– أوليفييدمانيي Olivier Demagny: يصنّف رواية "نجمة" على أنّها تنتمي إلى الرواية الجديدة، إلى جانب روايات جويس وفولكنير، ويقول بأنّ الكاتب وظّف شخصيّة نجمة الأسطورية للتعبير عن الجزائر الواقعيّة، وتشير صاحبة المقال بأنّه يجب التّذكير بأنّ هذه الدّراسة الأخيرة أجريت بعيدا عن المخابر الباريسيّة .

– بيرنار دور Bernard dort: كتب في مجلّة Cahier de sudبأن رواية نجمة هي حقيقة العالم، واعتبرها رواية ارتباط الكاتب بأرضه، رواية الرّمزية تناقش مأساة الجزائر المستعمرة [2].

[1] –Ibid, p38

[2]– Ibid,p39 .

– عبد الكريم الخطيبي: في رسالته لنيل الدكتوراه درجة ثالثة بجامعة السوربون والتي صدرت في كتاب عام 1968 تحت عنوان" الرّواية المغاربيّة "، خصّص النّاقد فصلا لأدب كاتب ياسين، استهلّه بكلمة مؤثّرة عن الكاتب العربي الثائر الذي سانده اليسار الفرنسي، ووجد فيه مشروع شراكة سياسية ضدّ اليمين المتطرّف، وعدّد الخطيبي ميزات رواية" نجمة"، ففيها جمال الأسلوب، وإعادة إنتاج الواقع إبداعيّا باستخدام الرّمز، وقد تكلّم عن البطلة مرّة "امرأة معشوقة" ومرّة " البلد الأمّ الجزائر" ، كما أشاد بالتّوظيف الجيد للتيمات ولتنظيرات بارت في الرواية [1]، والملاحظ على دراسة الخطيبي – بالرغم من أنّه باحث عربي – تركيزه على تمظهرات التنظيرات الغربية للسرد داخل رواية نجمة لأن البحث أجري داخل الجامعة الفرنسية.

– من النقاد الذين تكلمت عنهم Jacqueline Arnaudالناقد Jean Déjeux إذ قسّم تطوّر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية إلى مرحلتين رئيسيتين سبقتهما مرحلة تمهيديّة تمثلت فيما كتبه الفرنسيون الذين حطّوا الرّحال بالجزائرLa literature éxotique، وكان الدافع لذلك هو الانبهار الكبير بالأرض العذراء، والطبيعة المختلفة والعادات والتقاليد المغايرة لنمط الحياة الفرنسيّة ، فنجد رواية Khadra, La danseuse de Ouled Nail(خضراء، راقصة أولاد نايل)، لإيتيان دينيه سنة رفقة سليمان بن براهيم 1910، ثمّ ما كتبه إيزابيل إبرهاردت وغيرهما، كلّ هذه الروايات التي كتبها فرنسيون لم تقدّم شيئا للقضيّة الوطنيّة ولا للشعوب المستعمرة باستثناء غوديه موباسان الذي قدّم حقائق عن الاستعمار باعتباره كان صحفيا وكتاباته لم يكن دافعها تقديم الدعم للشعوب المستعمرة .

[1] – Ibid,p40.

ثم تأتي مرحلة أخرى للرواية في العشرينات، يجسّدها رائد الرّواية الجزائريّة القايد بن الشريف، بروايته "أحمد بن مصطفى القومي" Ahmed Ben Mostafha le gourmierسنة 1920، إضافة للإخوة زناتي، أحمد ورابح، خاصّة رابح زناتي برواية (بو لنوار) وهو موال ولاء تاما لفرنسا، والحائز على الجائزة الأدبية الأولى في الجزائر سنة 1943 وهو القائل " أدين بكلّ شيء لفرنسا"، وغيرهما كثيرون .

مما ميّز رواية العشرينات أنها مكتوبة هذه المرّة من طرف جزائريين استخدموا لغة المستعمر، دافعها الأوّل هو إثبات الذّات مثلما يقول Jean Déjeux " الدّافع الأوّل هو إثبات أنّه بإمكاننا الكتابة باللغة الفرنسيّة بدون أخطاء نحويّة " ، رواية العشرينات كانت مجرّد تقليد أعمى للرواية الغربيّة باعتبار أنّ أغلب كتّابها من خريجي المدارس الفرنسيّة نهلوا من مقرّراتها الدراسيّة فكانت رواياتهم صورا مشوّهة عن الواقع .

الميزة الأساسية في هذه الرواية هي أنها اتّسمت بازدواجيّة الخطاب، خطاب الموالاة لفرنا وتمجيد ما تقوم به، أي تمجيد مهّمتها الإنسانيّة النبيلة في نقل الحضارة إلى بلد متخلّف ، خصوصا مع سلطة الرّقابة المفروضة على هذا النّوع من الرّوايات ومنعها من الصّدور وكذا سلطة المصحّح الفرنسي الذي يسمح بمرور الخطاب الذي يخدم مصالحه فقط، الخطاب الثاني هو خطاب رمزي نتيجة عجز هؤلاء الكتّاب عن إبداء رأي صريح حول الإدماج (إدماج الشّعب الجزائري) وفقا لمقولة الجزائر فرنسيّة، حيث يتبنى الكاتب بطلا يدخل في مغامرة إدماجية غالبا ما تكون نتيجتها الموت سواء الموت البيولوجي أو الموت الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي[1].

[1] – Ibid, ,p45

إذن فهذه الرّواية حسب ديجو هي رواية هجينة مولّدة، قوبلت بتنكّر كبير من طرف النقد الغربي الذي وصفها " بالأدب الإثنواغرافي literature ethnographique، قد تبدو هذه التسمية لأوّل مرّة تسمية بريئة لكنها تحمل عارا كبيرا لهذه الرّواية، لأنها تحيل برمزيتها إلى أن الشعب الجزائري شعب متخلّف بعيد عن الحضارة ، بينما تمجد بطولات فرنسا الأم وتشيد بمهمتها الإنسانية في نقل الحضارة إلى شعب بائس.

ومما يثبت سوء النيّة في إطلاق تسمية الأدب الإثنوغرافي على مرحلة من الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، باعتبار أنها تتناول ثقافة شعب من ناحية العادات والتقاليد ونمط الحياة، هو أنّ هناك في الأدب الفرنسي روايات واقعية مشابهة لم يطلق عليها هذا الاسم ، كالكوميديا الإنسانية لبلزاك ، والتي تحمل بين طياتها حوالي تسعين عنوانا من مؤلفات بلزاك عن المجتمع الفرنسي، وبالتالي فإن أحدا من النقاد الغربيين لم يجرؤ على تصنيف الرواية البلزاكية على أنّها رواية إثنوغرافية[1].

إنّ التفسير الوحيد للتنكر الذي واجهته هذه الرواية هو أنّ ردود فعل النقد كان من صميم السياسة الفرنسية الاستدمارية، التي تهدف إلى إضعاف الآخر من أجل السيطرة عليه، من هنا كان لزاما على الكتّاب والروائيين باعتبارهم صفوة المجتمع ، اللجوء إلى نوع من الوعي، ومن خلال هذا الوعي تبدأ رواية سنوات الخمسينيات في الظهور، وقد برزت نتيجة عاملين أساسيين وهما الفشل الذي واجهته رواية العشرينات وولاءها التام للمستعمر، والوعي السياسي الذي بدأ بالتشكّل لدى الجزائريين خاصّة وأنّ هاته الرّواية التي تنحصر بين 1945-1954 احتلّت حيزا مهما بين حدثين تاريخيين هما :

[1] – Ibid, p46.

أحداث 8 ماي 1945 واندلاع الثّورة التحريرية، وما صاحبها من تنامي الوعي السياسي، وبالتالي فإنّ هاته الرّواية ابتعدت شيئا فشيئا عن تمجيد الاستعمار إلى طرح أسئلة وجودية مهمة كانت بدايتها: من أكون؟

والدافع لهذا السؤال هو معاناة الرّوائي الجزائري من انفصام الشخصيّة نتيجة انتمائه لثقافة موروثة عن الأجداد، وثقافة مكتسبة هي ثقافة الآخر، المستعمر من هنا يبدأ السؤال الوجوديّ الذي يعكس تساؤلات شعب بأكمله.

تميّزت هاته الرّواية بخاصية المكان الذي غالبا ما يكون في شكل مزدوج أي مكانين مختلفين: البيت العائلي، الحيّ إذ يمجدهما الكاتب ويضفي عليهما طابعا مثاليا كما في رواية ابن الفقير لمولود فرعون، أو الدار الكبيرة لمحمد ديب، ثمّ تتغيّر صورة المكان بعد خروج النص الرّوائي لعالم أكبر غالبا ما يكون المدرسة، حيث يكون على البطل بذل مجهود للتأقلم مع ظروفه الجديدة .

وقد أقرّ الناقد بأن رواية نجمة تحيل على الواقع الجزائري من خلال رمزيتها والشخصيات والزمن وتوظيف التراث الشعبي الجزائري .

– في دراسة ل Marc Gontard بعنوان Nedjma de KatebYacine, Essaisur la structure formelle du roman صدرت عام 1975 م، ذهب الناقد بعيدا في التحليل وتعمّق في دراسة البنية السّرديّة للرواية، ليصل في النهاية إلى أنّها شكل من أشكال الفانتازيا، فيقول بأن عمل كاتب ياسين لا يمثّل سوى فانتازيا، استحضرت التاريخ وربطته بالموروث الشّعبي الجزائري، وقد توقّف كثيرا عند توظيف الرّمز عند كاتب ياسين وعدّه السبب الذي جعل الرواية تفلت من الرقابة، وقارن بين الزمن الواقعي، المرجعي والزمن الروائي، كما وصف الرّواية بأنّها تكشف عن اللاوعي الجماعي الذي ظهر في إبداع كاتب ياسين، كما يقر الناقد بأنّ الرواية تعتمد على تكرار الأحداث وزلزلة

الأوقات واستخدام الزمن بطريقة حلزونية تماما كما هو موجود في الرواية الغربية [1].

– تطرّقت الناقدة أيضا إلى دراسة لAntoine Raybaud بعنوان Roman algérien et quéted'identité – l'ecriture – délire de KatebYacine et NabileFarés، تقول:

اختار الناقد أن يحلّل وظيفة الكتابة عند كاتب ياسين، وأكّد بأنّ هذه الرّواية تحتوي على الواقع وليس مجرّد فانتازيا، وقام بالمقارنة بينه وبين كاتب جزائريّ آخر هو نبيل فارس، كما قام باستخراج الدّلالات التي تظهر بأنّ كاتب ياسين يطرح عدّة إشكاليات من خلال نصّه حول الهويّة، والانتماء، والاغتراب، ممّا يكشف معاناة المثقّف الجزائري .[2]

– في دراسة بعنوان :

Les Lettr s Françaises et la literature algérienne 1954–1962 par Yvonne Llavador.

ورد أنه في العام الذي اندلعت فيه الثّورة الجزائريّة، التزمت أسبوعيّة Les Lettres Françaisesبتقديم النّصوص الذي تتناول الوضعيّة الاستعماريّة، كما انعكست في الأدب المغاربي، وكما يعبّر عنها كتّاب الجزائر البلد المحتلّ .

وقد كانت هذه الجريدة تتمتّع بشهرة كبيرة، نتيجة توجّهها الشّعبي وشهرة طاقمها المسيّر الذي يضمّ على سبيل المثال لا الحصر: Aragon, Elsa Triolet, Vercorsو متابعتها لنشاطات الاتحاد الوطني للكتاب الفرنسيين، أين

[1]– Ibid,p46.

[2]–Ibid, p48.

ينشط Jean Paul Sartre, Guillevic, Maurice Druonالذين ينظّمون مهرجان "احتفال الكتاب" أو "القراءة في احتفال" الذي شارك فيه محمّد ديب عامي 1955 و1961 م، ومالك حدّاد عامي 1959 و1961 م[1].

هذه الجريدة خرجت من رحم المقاومة(مقاومة النازيين) وشكّلت قاعدة لمثقّفي اليسار إبّان الثورة التحريرية الجزائرية، وهكذا صدرت نداءات ضدّ توقيف Robert Barratفي 1955م، Georges Arnaudفي 1960م، Mohammed Abdelli (محمّد عبدلي) ، وضدّ الرّقابة التي مورست على أعمال LaGangrène, Le Déserteur.

قبل اندلاع الثّورة بفترة قصيرة، قام Anne Villelaur بتحليل روايتي ابن الفقير Le fils de pauvre والأرض والدّم La terre et le sang، ولاحظ الناقد بأنه من اللحظة الأولى التي تطالع الرّوايتين تظهر وطنيّة مولود فرعون وانتماءه بالرّغم من استخدامه للغة الفرنسيّة في الكتابة، وتلك الوطنيّة أغضبت الاستدمار لأنها كانت مباشرة بعيدة عن الرّمز [2].

أمّا بالنسبة لأراغون Aragon فقد كتب عن محمّد ديب مقالا طويلا، ووصفه بأنه Un Jean Christophe algérien لم يخرج بعد من طفولته، وصار محمّد ديب الكاتب الجزائري المفضّل لدى جريدة "آداب فرنسيّة" ، ونشروا له قصائده التي جمعت في ديوان عام 1961م، وكتب مقدّمة الدّيوان أراغون .

كما نشرت عدّة مقالات حول روايات مختلفة منها: "الدّار الكبيرة"، "الحريق" لمحمّد ديب، "نجمة" لكاتب ياسين، وهكذا فإن هذه الجريدة قد قامت

[1] – Yvonne Llavador, Les ettres françaises et la littérature algérienne, Œuvres et critique, p51.

[2] – Ibid,p52.

باستقراء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة والتعليق عليه بالتّوازي مع أحداث الثّورة، وكان ذلك النقد واقعيا في مجمله .

وقد وجدت الجريدة في الأدب الجزائري ما انتظرته منه ، فهو أدب واقعيّ ملتزم بقضية الوطن، وموازيا للخطاب السياسي الذي حاول تقديم حلول، لذلك كانت الجريدة فضاء رحب للكتّاب الجزائريين، من خلال عدد المقالات المنشورة، وملخّصات الأعمال الأدبيّة، وكان موقف اليسار الفرنسي اتجاه القضيّة الجزائريّة واضحا من خلال هذه الجريدة، إذ رفض الممارسات الاستدماريّة ضدّ الشّعب المحتلّ.

– في دراسة بعنوان:

La coline oubliée 1952 de Mouloud Mammeri, un prix littéraire, une polémique politique par Jean Déjeux.

ذكر الناقد بأنّ الأعمال الرّوائية الجزائرية الصّادرة في فترة الثّورة التحريريّة الكبرى، توضّح مميّزات المرحلة وآمال الطبقة الوطنيّة المشدودة إلى كلّ الأعمال الأدبيّة التي باستطاعتها التعبير عن معركتهم، إنها توضّح كذلك ضعف السّلطات الكولونياليّة التي تبرّر نجاح تلك الرّوايات بنجاح فرنسا في تثقيف الشّباب الذين ينتمون إلى ما تسمّيه "مدرسة الجزائر" .

أشاد الناقد كثيرا برواية " الرّبوة المنسية " ، وانتقد ما قامت به مطبعة Plom الفرنسيّة ، إذ قدّمت الرّواية على أنها رواية أمازيغيّة باللغة الفرنسيّة ، وهي تحكي عن الحياة اليوميّة لقرية أمازيغيّة في السّنوات الصّعبة، فالرّواية حسبهم لا تتكلّم عن الجزائر إنما عن مجتمع الأهالي، والأمازيغ لا يمثّلون

عرب الجزائر، وهنا أشار Jean Déjeux بأنّ القائمين على المطبعة ينتهجون نهج السياسة الفرنسية "فرّق تسد".[1]

الملاحظ على النقد الفرنسي للرواية الجزائريّة المكتوبة باللغة الفرنسيّة أنه منقسم بسبب الإيديولوجيا إلى قسمين، قسم ينظر إليها على أنها أدب وطني جزائري يحاكي المأساة الوطنية، واللغة الفرنسية كانت ضرورة نظرا لعدم إتقان هؤلاء الكتاب للغة العربية الفصحى بسبب سياسة الاستدمار وغالبا يكون ذلك النقد هو نقد اليسار الفرنسي، ونقد آخر ينظر إليها على أنّها رواية فرنسية لأنّ هؤلاء الكتاب هم نتاج المدرسة الفرنسية، وكثيرا ما تحامل النّقد اليميني على تلك الروايات إذا لاحظ أنّها تنتقد السياسة الاستدمارية الفرنسية .

- خاتمة :

من أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال عرضنا لنماذج مختلفة من النقود العربية حول الرواية الجزائرية ما يلي:

- النقد العربي تطرّق إلى إنجازات الرّواية العربيّة في مجال التجريب والتحديث، مركّزا على إنجازات الرّواية الجزائريّة المكتوبة باللغة العربيّة، والتي عبّرت عن الأزمات التي مرّت بها الجزائر منذ الاستدمار الفرنسي وصولا إلى فشل الاشتراكيّة ثم العشريّة السّوداء، كما ذكر النقاد جوانب التجديد في الرواية الجزائرية .

- ركّز بعض النقاد على دراسة صورة الآخر في الرّواية الجزائريّة، لأنّ فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت طويلة جدا فتركت آثارها على الإنسان

[1]–Jean Déjeux ,La coline oubliée 1952 de Mouloud Mammeri, un prix littéraire, une polémique politique, Œuvres et critique, p70.

الجزائري بصفة عامّة، والكاتب بصفة خاصّة، كما أن العلاقة بالغرب مازالت متوتّرة تتأرجح بين الانبهار والشّعور بالدّونيّة، والحقد والرّفض للآخر.

– هناك من النقاد العرب من يرى بأنّ الحداثة الرّوائيّة في الجزائر انطلقت مقلّدة التّراث الأدبي العربي والرّواية الغربيّة، كما استفاد الرّوائي الجزائري من الرّوائيين العرب : الوليد إخلاصي، وصنع الله إبراهيم، وإدوارد الخرّاط، وإيميل حبيبي، ثمّ انطلق الرّوائيون الجزائريون في رحلة التجريب .

إنّ من أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال استقرائنا للنقد الذي تطرّق إلى الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسيّة ما يلي:

– النقد السوفياتي قدّم الرواية الجزائرية على أنها رواية وطنية لكتاب يعانون من الاضطهاد، فنقلوا معاناتهم عبر نصوصهم، وكانت تلك الأعمال الأدبية بمثابة شهادة حيّة على ظلم فرنسا للشعوب، وفرنسا تمثّل جزء من المعسكر الغربي، فجاء النقد موضوعيّ لأنّه ربط الأعمال الأدبية بالواقع الجزائري .

– النقد الفرنسي انقسم بسبب الإيدبولوجيا أيضا، فاليمين الفرنسي يصنّف تلك الرواية على أنها رواية فرنسية، وأحيانا يعلل أسباب استخدام كتابنا للغة الفرنسية بأنّهم يرون اللغة العربيّة لغة ميّتة، وفي معظم الأحيان يسلّطون الرقابة على الروايات التي تنتقد السياسة الاستدمارية، أو يحاولون تصنيف تلك الرواية على أنها رواية أمازيغيّة ارتقت فنيا لأن الأمازيغ لهم قدرة كبيرة على الدخول في موجة الحضارة عكس عرب الجزائر.

أما اليسار الفرنسي فقد ساعد تلك الروايات على الظهور في الساحة الأدبية العالمية بسبب رفضه للظلم الفرنسي للشعوب، وصنفها بأنها روايات جزائرية وطنية تحكي مأساة الوطن.